العبث بالاشياء الموضوعة ، منذ الولادة ، على رفوف الذاكرة ، نائمـــة تحت الغبار والقبول والاستسلام الكلي .

ولست اعرف على وجه التحديد من اين اتى ، وما الذي انتهى به الى هذا الفزن . وكان هو ضنينا في الحديث عن ماضيه ، ولكنني علمت ، مثلما يجمع الانسان شظايا صحن زجاجي محطم ، انه لم يذهب الى المدرسة الا اياما قليلة ، وقد تزوجت أمه بعد شهور من ذهاب والده للسجن ، واذاقه زوج أمه مر العيش ، فقد كان فقيرا ، وفظا وشرها ، وحين وجد في طريقه طفلا مستسلما مستعدا للقبول ، أخذت شراسته تشتد ضراوة . وقد لجأ الى أماكن عديدة الى أن انتهى به الامر الى هذا الفرن منذ عشر سنوات تقريبا ، ونحن ما زلنا منذ ذاك نعيش معا ، ونشكل ثنائيا غريبا فاقت شهرته حدود الحي الذي يقوم فيه الفرن . كان جسده قد أضحى قويا بلا حدود ، وصار مضربا للمثل في البأس والشدة ، الا أنه لم يستخدم قط تلك القوة الهائلة النائمة في ساعديه واكتافه لتحقيق اي نوع من أنواع العنف ضد اي كان ، لقد كان فعلا على قناعة عميقة بأن أمور هذا العالم لا تحتاج الى تقويم ، وان القوة في جسد الرجل ليست الا رفاها اضافيا يمكن الاستغناء عنه ، وانه اذا ما اعترضت حياة الانسان معضلة ما فلا سبيل لزحزحتها الا بالمعجزة ، وليس بقوة العناد او بعناد القوة .

ومنذ عشر سنوات وانا انظر الى العالم بعيني حمدان ، ومع ذلك فانني لم أستطع ان ارى شيئا حقا ، كان العالم بالنسبة لعينيه منبسطا كأنه مرسوم على بلاطة وكان يرى الاشياء والناس على صورة فريدة من البساطة والآلية ، وفي أحيان كثيرة كانت رؤيته تشكل في ذهني جدارا او بابا بيني وبين الحقيقة في شكلها الأكثر صفاء ، تماما كما هو نائم الآن أمام الباب .

ومنذ أيام قليلة وانا أحس ذلك أكثر من أي وقت مضى ، واكاد أرى في حمدان قيدا يزداد ثقله ، ومع ذلك لا غنى عنه بالنسبة لي ، أنا الذي ادرك كيف تحول خلال عشر سنوات الى جزء لا يتفكك من حواسي ، وتحولت في هذه السنوات العشر الى جزء ثابت في عالمه، والى رف كبير داخل رأسه ، يضع عليه أشياء الذاكرة ، وصور العالم ، المدفونة تحت غبار لا يريد مسه .

— ١١ —

كان يوم جمعة ، عطلتي من العمل في مكتب توزيع الاعاشة في وكالة الغوث . ومع ذلك صحوت باكرا على غير عادتي في أيام العطل ، ولما شعرت بأنني نهب للحيرة والضجـــر والافكار المتناقضة ، مضيت أزور عبد العاطي .

وقد وصلت الى الرصيف المقابل للفرن في ساعة مبكرة جدا ، وكان النهار ما زال محتفظا بطعم النوم ، وغير قادر بعد على ان يكون حقيقيا تماما ، كأنه لم يسحب نفسه بصورة كاملة من عالم الاحلام الصامت . ولعل ذلك بالذات ما جعلني أرى ما رأيت على تلك الصورة المدهشة : فقد كنت اعتزم عبور الشارع الى الفرن عندما لاح لي عبد العاطي واقفا قرب الواجهة . كان ما يزال لابسا ثوبه الليلي الابيض ، وكان يزن خبزا لزبون لم يكن بوسعي أن أراه من مكاني ، وهكذا فقد كان واقفا بطول قامته وذراعه امامـــه ترفع عصا الميزان النحاسي ذي الكفتين المربوطتين اليها بالسلاسل وهو يقوم بوزن الخبز وقد وضع تحت ابط ذراعه الاخرى عدة ارغفة اضافية ، فيما مضى يتجه بعينيه الضريرتين الى الامام مثلما يفعل العميان حينما ينصرفون الى تركيـــز وعي حواسهم الاخرى .

كان الصباح المتلىء بجو الليل يخيم على الطريق ، والفرن من الداخل ما يزال مظلما تقريبا ، وهكذا فقد بدا عبد العاطي الواقف قرب الباب بثوبه الابيض الطويل وكأنه